التاريخ والاجتماع

تقارير قناصل فرنسه في مصر

عن سنة ١٨٠٢ — ١٨٠٤ واهميتها التاريخية

الجمعية الجغرافية الملكية المصرية تعول على نشر تقارير قناصل الدول في مصر بين سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٤٩ — اهمية ما نشرته من هذه التقارير حتى الوقت الحاضر — محمد علي باشا مسير ومخير في سياسته في مصر ما بين سنة ١٨٠٢ و ١٨٠٤ غير مخير فقط — انكلتره تسعى لتاييد نفوذ المماليك في مصر وفرنسه تعارضها — الجزار يحكم القطرين السوري والمصري معاً .

من اعمال الجمعية الجغرافية الملكية المصرية ان تدعو الاختصاصيين في تاريخ مصر الحديث للتأليف وان تنشر لهم نتيجة ابحاثهم على نفقتها . فقد نشرت في العام الماضي كتاب المسيو فرانسوا شارل رو في انكلتره وسياستها في مصر عام ١٧٩٨ و ٩٩ و ١٨٠٠ [١] وقد شجعت المسيو دريو المتخصص في تاريخ بونابرت ان يكتب في علاقات محمد علي باشا مع امبراطور الفرنسيس المشهور ونشرت له ما ألفهُ عام ١٩٢٥ [٢] . وقد نشرت ايضاً كتابين لصديقنا المسيو جورج دوان في تاريخ مصر ما بين سنة ١٨٢٤ و ١٨٢٧ يبحث الواحد منهما في بداية جيش محمد علي باشا والآخر في اوائل اسطوله [٣] . وكنا علمنا في اثناء اقامتنا في القاهرة منذ عام

---

(١) Francois Charles-Roux, L'Angletterre et l'Expedition française en Egypte, Cairo, 1925

(٢) Edouard Driault, Mohamed Aly et Napoleon (1807-1814), Cairo, 1925

(٣) Georges Douin, Une Mission militaire française aupres de Mohamed Aly, Cairo, 1923; Les premiere fregates de Mohamed Aly (1824-1827), Cairo, 1926

او اكثر انها عوّلت — بمساعدة وتشجيع جلالة الملك فؤاد الاول — على نشر تقارير قناصل فرنسه وانكلتره والنمسه وروسيه في مصر ما بين سنة ١٨٠١ و١٨٤٩ وانها ستبدا بالتقارير الفرنساوية اولاً وتنتقل منها الى الانكليزية فالالمانية فالروسية فتلقينا هذا الخبر بملء الفرح والسرور لما املنا في هذه التقارير من الفائدة وما علقنا عليها وعلى نشرها من الاهمية . وقد تحققت امانينا اليوم بظهور المجلد الاول منها . فقد جمع المسيو جورج دوان بين دفتي هذا المجلد مئة وتسع وستين رسالة من قناصل فرنسه في مصر وسفيرها في الاستانة الى بونابرت وتاليرند وغيرهما من ارباب الامر والنهي في باريز ما بين سنة ١٨٠١ و ١٨٠٤ (١)

اما اهمية هذه الرسائل فانها كبيرة متنوعة . كنا الى ان ظهرت اذا وقفنا نصف حالة مصر بعد جلاء الفرنسيس عنها نكتفي بالكلام الاجمالي المبهم فقط فنذكر مطامع المماليك وتتردد كل التردد في امر تعيينها وضبطها . اما اليوم فانه يمكننا ان نكشف عن هذه المطامع ذاك الابهام ونظهرها كما عرفها رجال السياسة في وقتها فنقول ان المماليك طلبوا الاستقلال التام ونذكر طلبهم هذا بشروطه وبنوده (٢)

وقد ظهرت ايضاً بوضوح تام سياسة انكلتره في البلاد ومساعدتها للمماليك . يقول المسيو لسبس في رسالته لتليراند بتاريخ ٢٤ تشرين الاول سنة ١٨٠٣ ان وعود انكلتره للمماليك كثيرة وان بعضها يقضي بمساعدة مادية حقيقية من بلاد الهند ثم يعود فيعين هذه المساعدة في رسالة له ارسلها الى المسيو دروفتي قنصل فرنسه في الاسكندرية في ٢٢ تشرين الثاني حيث يقول ان انكلتره وعدت المماليك بجيش من بلاد الهند . وقد ورد كذلك في رسالة اخرى ارسلها الى دروفتي في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨٠٤ ان اصدقاء انكلتره في مصر ورجالها واعوانها يقولون

(١) L'Egypte de 1801 a 1804. Correspondance des consuls de France en Egypte, Cairo, 1925

(٢) اطلب تقرير القبطان جوزف ادمندز الانكليزي عن المعلم يعقوب القبطي وعن مهمته في اوربه بتاريخ ٤ تشرين الاول سنة ١٨٠١

للبرديسي انهم يعترفون به وبماليكه حكاماً على وادي النيل . وظهرت ايضاً ولكن ليس بالوضوح نفسه سياسة فرنسه وتدخلها في امور مصر وما نتج عن ذلك من زيادة الطين بلة

ومن ألذّ ما وقفنا عليه في هذه التقارير خبر تعيين احمد باشا الجزار والياً على مصر فقد ورد بتاريخ ١٢ اذار سنة ١٨٠٤ نقلاً عن كلام الريس افندي في الاستانة انه كان في نية الحكومة العثمانية ان تعين احمد باشا الجزار والياً على مصر لانه كان من اقدر واغنى ولاة ذلك العصر — صاحب مئة الف كيس — وفي امكانه ان يدفع جماكية العساكر ويرضيها ويقمع ثورة المماليك وعصيانهم على الدولة وورد ايضاً بتاريخ ٩ نيسان من السنة نفسها ان السلطان عين الجزار والياً على جميع ايالات سورية ومصر وان عكة عيدت لهذا الخبر وان الجزار ارسل ستة من هجانته الى مصر لاعلان توليته . وقد ورد هذا الخبر في رسالتين اخريين الواحدة منهما بتاريخ ٢٥ نيسان سنة ١٨٠٤ والاخرى بتاريخ ٣٠ نيسان من السنة نفسها

والظاهر ان المؤرخ الجبرتي مع تدقيقه وتحقيقه لم يسمع بهذا الخبر بكامله لانه لم يذكره بتمامه على ما نعلم فان جل ما قاله في هذا الصدد ورد في صفحة ٢٨٢ و٢٨٤ و٣١١ من المجلد الثالث من كتابه وهو هكذا : وفي عاشره — اي عاشر شهر رجب سنة ١٢١٨ — سافر جعفر كاشف الابراهيمي رسولاً الى احمد باشا الجزار بعكة لغرض باطني لم يظهر . . . . . وفي عشرينه — شعبان سنة ١٢١٨ — حضر جعفر كاشف الابراهيمي من الديار الشامية وقد قابل احمد باشا الجزار واكرمه ورجع بجواب الرسالة وسافر ثانياً بعد ايام . وفي يوم الخميس (٢٢ محرم ١٢١٩) عمل الباشا الديوان وحضر المشايخ والوجاقلية وقرأوا المرسوم بحضرة الجمع ومضمونه اننا كنا صفحنا ورضينا عن الامراء المصرلية على موجب الشروط التي شرطناه عليهم بشفاعة علي باشا والصدر الاعظم فخانوا العهود ونقضوا الشروط وطغوا وبغوا وظلموا وقتلوا الحجاج وغدروا علي باشا المولى عليهم وقتلوه ونهبوا امواله ومتاعه فوجهنا

عليهم العساكر في ثمانين مركباً بحرية وكذلك احمد باشا الجزار بعساكر برية للانتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فما قول المولعين بتاريخ الجزار المتخصصين في درس اخباره في هذه اللمحة الوجيزة من آخر سنة من سنين حياته ؟

والاهم من ذلك كله ما جاء عن اعمال محمد علي باشا وعن سياستهِ في مصر في هذه الفترة الوجيزة من تاريخ حياته . يعتقد القسم الكبير من كتاب هذا العصر وخصوصاً المصريين منهم ان محمداً كان حاد الذهن منقطع النظير بعيد الهمة طلاب المعالي . وانه رسم خطة لنفسهِ منذ اول عهده في مصر فاصاب المرمى — انهُ نظر الى مستقبله ومستقبل مصر وهو لا يزال في اول عهده ١٨٠١ — ١٨٠٤ — فادرك ما سيكون منهُ ومنها وانهُ اخذ بعدئذٍ يغتنم الفرص للوصول الى غايتهِ . قال الاستاذ الايوبي واضع احدث كتاب عربي في سيرة محمد علي باشا

« ما لبث بطلنا ان ادرك ان البسالة والاقدام قد ينفعان . واما التقدم السريع فلا يدرك الا بالتقرب من الرؤساء . فاخذ من وقتهِ يبحث عن سند ينفعهُ لدى ذوي الامر . فوجده في شخص رجل يقال له حسن اغا احد ضباط القبطان باشا فالحقهُ القبطان باشا بخدمة خسرو باشا وافهم خسرو باشا ان محمداً رجل يعتبر اكتسابهُ مغنماً . وكان خسرو قد تعين والياً على مصر فرأى ان يعتز بمحمدٍ ورفعهُ في اواخر سنة ١٨٠١ الى رتبة ساري ششمه اي جنرال او لواء . فتمكن محمد علي من هذا الموقف العالي الذي بلغهُ في اقل من سنتين ان يلقي نظرة على مجاري الامور حوله وان يزن الاحوال والرجال بميزان تقديره الراجح . فراى ان الاحوال فوضى يتنازع الامر فيها ثلاث قوات : الجيش الانكليزي والجيش التركي والامراء المماليك وانتهى الى انهُ ادرك ان القطر ممزق مدوس وان القوم يشتغلون كل لمصلحتهِ ولو ادى تحقيق ذلك الى خراب عام . والى انهُ ليس بين قواد العثمانيين واحد فقط كفوءاً للمهمة التي وضعها الباب العالي نصب اعينهم . ووزن خسرو باشا رئيسهم الاعلى فوجده ناقصاً لا يصلح لمهمات الامور . وراى من جهة اخرى ان المماليك على ما

بهم من وهن لا يفترون منشقين بعضهم على بعض فحكم بان راي الدولة العلية صائب وان مصير البلاد الى ايديهم مصيبة كبرى عليها . ثم وزن نفسهُ بدقة وبدون محاباة فوجد انهُ الرجل الوحيد الذي يمكنهُ ان يكفي الاستانة ومصر شر المماليك . والوحيد الذي يمكنهُ ان يحكم البلاد حكماً يصلحها ويعلي من شأنها . وراي ان ما خصهُ بهِ الباري — دون سواه — من مزايا البطولة الحقة والرجولة يكفل له تحقيق المنام الذي فسره له الشيخ الوقور[1] والبلوغ الى الذروة اذا هو عرف كيف يستفيد من الظروف وكيف يجعل الفرص تثمر الثمر المرغوب فيه بان لا يستخدم كفاءتهُ الا في مصلحة فريق يؤدي انتفاعه بها الى القضاء المبرم على خصمهِ وكيف يسير بحكمة سفينة طالعهِ وآماله . فدخل بها بحر تلك الفوضى العجاج بجانب قوارب الضاربين فيها ولم يكن بينهم احد يعلم المصير بل كانوا يمخرون حيثما تذهب بهم رياح تصرفات الايام وبينما هم غافلون ربط سفينة مطامعهِ بحبال خفية بكل قارب من تلك القوارب وربط دفات الجميع بدفة سفينتهِ من حيث لا يشعر احد فاصبح كل يجذف بمجذافهِ ويظن انهُ يجذف لنفسهِ وفي مصلحتها بينما هو في الحقيقة يجذف ليوصل الى الفرضة الامينة سفينة ذلك الربان الحاذق الذي كان يدير الدفات كلها في الخفاء وهو على ظهر سفينتهِ ونجمتهُ القطبية المنيرة له السبيل بين الشعاب تحقيق الحلم الذي رآه . هكذا نرى واضع الانغام عند الغربيين يضع لكل وتر نغماً ولكل بوق نفخاً ولكل منشدٍ ترنيماً فيعزف العازفون ويغني المغنون وكل واحدٍ لا يدري ما نغم رفيقهِ فيجتهد باتقان نغمهِ ظناً منهُ انهُ الفائز باستحسان الجمهور وتصفيقهم وما هو في الحقيقة عامل الا على نجاح مجموع النغم واظهار حذق الواضع واكتساب الشهرة والفخر له

---

(١) يقال ان محمداً حلم ذات ليلة وهو لا يزال في موطنه الاصلي انه ظمئ ظمأ شديداً فشرب كل ماء النيل ولم يرتو وانه قص منامه هذا على شيخ وقور اشتهر بتفسير الاحلام فقال له هذا ابشر يابني فان منامك يعني انك ستملك وادي النيل باسره ولن تكتفي به بل ستسعى الى امتلاك اقطار غيره — عن سيرة محمد علي للايوبي ص ١٣

ترددنا في صحة رأي الاستاذ الايوبي يوم قرأنا كتابهُ منذ ثلاثة اعوام او اكثر وأردنا وقتئذٍ ان ننشر على صفحات هذه المجلة شيئًا في هذا الموضوع فعرض لنا ما ثبطنا عن عزمنا — لم يكن لدينا وقتئذٍ من البراهين المهمة سوى الدليل العقلي الذي لا يسمح بهذا المقدار من حدة الذهن وانقطاع النظير لاي فرد من افراد البشر . اما اليوم فانهُ يمكننا ان نزيد على هذا الدليل العقلي دليلاً نسخيًا واضحًا يشجعنا على التردد في صحة رأي الاستاذ الايوبي . فقد ورد في هذه الرسائل التي نحن في صددها ما يجعلنا نعتقد ان عساكر محمد علي كانت اقوى من ان تدار بيد قائدها الا اذا وافقت مصلحتهُ مصلحتها وانها كانت تقوم على الباشا والدفتر دار والمماليك لتطلب المتأخر من جاكيتها لا لتنفذ خطط قائدها[1] . وقد ورد ايضًا بتاريخ ٢٣ ايلول سنة ١٨٠٤ ان محمد علي واحمد بك وحسن بك قواد الارناوود الثلاثة مع قسم كبير من جيوشهم عزموا على الرجوع الى بلادهم بغنائمهم واموالهم وانهم استأجروا المراكب اللازمة لنقلهم ونقل امتعتهم في الاسكندرية ودمياط . وورد كذلك بتاريخ ٢٢ تشرين الاول من السنة نفسها ان خورشيد باشا هو هو الذي ابقى محمداً في مصر لما عهده فيهِ من المقدرة العسكرية — هكذا لا كما ورد في كتاب محمد علي للايوبي صفحة ٥١ و ٥٢ « انهُ وقع في خلده (خلد محمد علي) ان يرى مقدار ما بلغت اليهِ منزلتهُ عند الشعب فذهب الى الوالي واظهر له الرغبة في الرجوع الى بلاده وانهُ طار عقل خورشيد فرحاً » . افيصح بعد هذا كله ان ننسى ان محمداً وجنوده اتوا مصر للارتزاق لا للسكنى وان ننسب اليهِ تلك الخطة الكاملة منذ اول عهده ونقول مع من قال انهُ وزن نفسه سنة ١٨٠٢ فوجد انهُ الرجل الوحيد الذي يمكنهُ ان يكفي الاستانة ومصر شر المماليك والوحيد الذي يمكنهُ ان يحكم البلاد الخ ؟ أليس من العدل والانصاف ان نقول انهُ ربما كان مخيراً ومسيراً في وقت واحد وانهُ قد يمكن ان يكون ما رسم خطة كاملة لنفسهِ منذ اول عهده شأن باقي البشر؟

(١) اطلب رسالة دروفتي الى بريزه بتاريخ ١٨ كانون الاول سنة ١٨٠٣

هذه كلمة احببنا ان ننشرها اليوم وان كانت قبل اوانها تنبيهاً للافكار وتمهيداً لمقالة خصوصية في هذا الموضوع ننشرها في وقتها ان شاء الله

وفي الختام فاننا نرفع مزيد الشكر لصاحب الجلالة الملك فؤاد الاول على كرمهِ وتشجيعهِ للعلم والادب وللجمعية الجغرافية الملكية المصرية عملها المفيد ونتمنى لو انها تترك خطة الانتقاء في نشر هذه الاوراق وتمشى بموجب نصوص شرائع العلم الحديث فتنشر كل ما لديها من غير انتقاء لان ما يتركه الناشر ويحسبهُ غير مهم قد يمكن ان يكون احياناً باهمية ما ينشر لغير الناشر . وان كان الداعي للانتقاء في النشر العسر المالي فلتخصص الجمعية الجغرافية الملكية ولتنشر الاوراق الافرنسية وحدها فانهُ افضل وانفع بكثير ان ينشر قسم من الاوراق نشراً صحيحاً تاماً من ان تنشر كلها ناقصة

اسد رستم

توماس ادیسون

اخلاقه وعاداته

ليس بالغريب ان يصاب الانسان بالصمم بل ان يرفض المعالجة مع تأكد الشفاء له — هذه حالة اديسون فانه قد اصيب بصمم منذ نصف قرنٍ تقريباً وقد اكد له الاطباء الشفاء منه بعملية جراحية بسيطة الا انه آثر البقاء على حالتهِ هذه لانهُ يستطيع ان يفتكر احسن حينما يكون العالم حولهُ هادئاً ساكناً فهو يؤثر ان لا يسمع تغاريد الطيور ولا اصوات اصدقائهِ ولا عزف الموسيقى مع انهُ قد اضاف اصواتاً جديدة الى عالم الصوت واتحف الناس باختراعه المفيد — الفونوغراف — واليك ما قالتهُ زوجتهُ عنهُ

كان اصدقاؤنا قليلين يعدون على الاصابع منهم هنري فورد وجون بوروز وهارفي فيرستون . وذلك لتراكم الاشغال عليه ولمعيشتهِ المنفردة المنقطعة عن الاتصالات الاجتماعية والعمرانية وكنا نظن ان صممهُ مزمن لا يشفى منهُ ولكننا وجدنا بعد ان فحصهُ اختصاصي